

القصیر المطول - سورۃ النساء ۰۰۴ - الدرس(39-69): تفسیر الآیات ۸۴-۸۵، حقیقتہ الشفاعة
لفضیلۃ الدکتور محمد راتب النابلسی بتاریخ: 22-11-2002

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سیدنا محمد الصادق الوعد الأمین، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العلیم الحکیم، اللهم علمنا بما ینفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا إتباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه، واجعلنا من يسمعون القول فیتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادک الصالحين.

الإنسان هو المخلوق الأول الذي أودعته فيه الشهوات ثم منح العقل وأعطي المنهج :

أیها الأخوة الكرام، مع الدرس التاسع والثلاثين من دروس سورۃ النساء، ومع الآية الرابعة والثمانين، وهي قوله تعالى:

(فَقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَافِئُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرَضَ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُ بَأْسًا وَأَشَدُ تَكْبِيلًا)

حكمة الله اقتضت أن يكون في الأرض حق وباطل، وخير وشر، وعدوان وسلام، ذلك أن الإنسان وهو المخلوق الأول أودعته فيه الشهوات، ثم منح العقل وأعطي المنهج، فينبغي أن یتبع المنهج، وأن تمارس الشهوات وفق منهج الله، فإن لم يكن ذلك كذلك كان العدوان بين البشر، الإنسان في جسمه دوافع إلى الطعام والشراب والجنس، وأشياء كثيرة، وهذه تحتاج إلى أموال، فحينما يتحرك بدوافع من شهوته ومن دون ضابط من منهج أو قيم فلا بد أن يأخذ ما له وما ليس له، فالعدوان بين بني البشر والقتل بينهم أساسه أن تأخذ ما ليس لك، وما يجري في العالم اليوم من حروب هدفها السيطرة على الثروات كي توفر لشعوب المعذبين حياة عالية جداً، فلو دخلنا في أعماق القتال فإننا نجده ناتجاً من طبيعة الإنسان، فهو مخلوق أول أودعته فيه الشهوات، وأعطي حرية الاختيار، وأعطي عقلاً، وأعطي منهجاً، فتحرك بدافع من شهوته من دون أن يحكم عقله، ومن دون أن یسیر على منهج رباني، فلا بد أن يأخذ ما ليس له، فإن كان قوياً استغل قوته في العدوان على الآخرين، هذا منطق الحروب في العالم اليوم.

القتال شرعاً لله تعالى في القرآن له دفين :

القتال شرعاً لله تعالى في القرآن به دفين:

(وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونُ الَّذِينَ كُلُّهُ)

[سورة الأنفال: 39]

حينما يكون المسيطر هو الكافر سوف ينشر الفتنة في الأرض كما ترون بأعينكم:

(وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونُ الَّذِينَ كُلُّهُ)

[سورة الأنفال: 39]

ينبغي أن يخضع الناس لمنهج الله، السماء فيها دعوة إلى الله، والأرض ينبغي أن تكون متساوية للسماء، لا ينبغي أن تكون أرض بلا سماء ولا سماء بلا أرض، كمال هذا الدين أن يكون لكل أرض سماء، ولكل سماء أرض.

(وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةً)

حتى لا تستغل المرأة التي شرفها الله وكرمها، وجعلها شريك الإنسان في حياته وشقيقه الثاني، لئلا يتاجر بها فتكون في بيوت الدعاية، ومواقع الرذيلة، وما ترونه وتسمعونه اليوم، هذه الفتنة الكبرى.

عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

((مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ))

[صحيح البخاري عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما]

المرأة لها دور خطير في الإسلام :

حينما أطلقوا اليد للكفار ماذا فعلوا؟ حاربوا بالمرأة، والذي نسمعه من أخبار أنه حينما يفتح بلد إسلامي أول شيء يبيحون فيه الأفلام التي لا ترضي الله عز وجل، ينشرونها، ويأمرون بخروج المرأة سافرة، الشيء الذي يلفت النظر أن أعظم إنجاز لهم إذا انتصروا أن يفتحنوا دوراً لتزيين النساء، معنى ذلك أن الكفار يحاربون بالمرأة التي تتبع جسمها مقابل المال، وهذا انحطاط شديد بالمرأة، فالمرأة لها دور خطير في الإسلام، فالمرأة زوجة، وأم، وأخت، وبنت، ليس في الإسلام امرأة معشوفة.

(وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونُ الَّذِينَ كُلُّهُ)

[سورة الأنفال: 39]

في مبدأ آخر:

(وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ)

[سورة البقرة: 190]

فإذا قاتلوا الكافر ينبغي أن تقاتلهم كما يجري في فلسطين.

(وَقَاتِلُوكُمْ)

[سورة البقرة: 190]

(وَقَاتِلُهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الَّذِينَ كُلُّهُمْ)

[سورة الأنفال: 39]

ويوجد كلام دقيق جداً، الله عز وجل قال:

(لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ)

[سورة البقرة: 256]

فالذي يكره الناس على كفر يجب أن تقاتلهم حتى تتحقق الآية أنه:

(لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ)

[سورة البقرة: 256]

القتل في الإسلام لا بد منه لرد العداون :

الجهة الطاغية التي تكره الناس على عبادة أشخاص، أو أوثان، أو شهوات ينبغي أن تقاتلها كي تتحقق

حرية الإنسان في اختيار الدين الذي يريد، لأنه:

(لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ)

[سورة البقرة: 256]

فالقتل في الإسلام لا بد منه لرد العداون.

(وَقَاتِلُوكُمْ)

[سورة البقرة: 190]

وقد قال الله عز وجل:

(وَأَعِدُّوا لَهُم مَا اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رَبَاطِ الْخَيْلِ)

[سورة الأنفال: 60]

جاءت حكمة الاستعداد الحربي:

(ثُرْهُبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ)

[سورة الأنفال: 60]

الفتنـة أشد من القـتل :

السلاح المتتطور أحياناً له دور كبير في الردع، ربما لا تستخدمنـه أبداً، ولكن قد يؤدي دوره كاملاً دون

أن تستخدمنـه لأنـه قـوة رادـعة، فالـآية الـيـوم:

الـدرـس(39-69): تـفسـير الآيـاتـان 84-85، حـقـيقـة الشـفـاعة

(فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)

هذا أمر موجه إلى النبي عليه الصلاة والسلام، وكل أمر موجه إلى النبي عليه الصلاة والسلام موجه حكماً لكل المؤمنين، لكن قاتل في سبيل الله، وفي سبيل إعلاء كلمة الله، وفي سبيل أن يكون الدين الله، وأن تتحقق الفتنة التي هي أشد من القتل، كيف تكون الفتنة أشد من القتل؟ لو أن جاهلاً من الجاهلية وأد ابنته، وهي في عمر بسيط، وسنوات معدودة، كان يحفر حفرة في الصحراء ويدفعها فيها، ويهيل عليها الرمل، وتقول: أبي، أبي! هذه التي وئت إلى أين مصيرها؟ إلى الجنة، لأنها لم تكلف بعد، لكن هذه التي كبرت، وأطلقت لها العنان، وفجرت، وزنت، وفتنت الشباب، وأغوت الناس، ثم ماتت إلى أين مصيرها؟ إلى جهنم، أيهما كان أشد عليها، أن تئتها أم أن تفتتها؟ والفتنة أشد من القتل، والله عز وجل يقول:

(وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونُ الدِّينُ كُلُّهُ)

[سورة الأنفال: 39]

ماذا يفعل الكافر؟ قال:

(الَّذِينَ طَغُوا فِي الْبَلَادِ * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادِ)

[سورة الفجر: 12-11]

طغوا بعدها لهم، وأفسدوا بأفلامهم.

(فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ * إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمِرْصَادِ)

[سورة الفجر: 13-14]

الإنسان مخير :

القتل شرع لقتال من يكره الناس على شيء ما أراه الله، لأن هذا عطل الحرية الدينية، أن تقاتل الذي يقاتلوك، والذي يشيع في الأرض فساداً وعدواناً، والذي يحول بين الناس وبين أن يخضعوا لدين الله، الآية هنا:

(فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلِّفُ إِلَّا نَفْسَكَ)

أنت لا تستطيع أن تحمل الناس على أن يقاتلوا، لك أن تدعوهם، وأن تحرضهم، لكن ليس لك أن تجبرهم، لأن الإنسان مخير.

(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضْ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ)

[سورة الأنفال: 65]

لكن المسئولة تقع عليك وحدك، وكل إنسان مسؤول عن فعله.

(لَا تُكَلِّفُ إِلَّا نَفْسَكَ)

الدرس(39-69): تفسير الآيات 84-85، حقيقة الشفاعة

هذا أصل، الإنسان مسؤول عن فعله فقط، لكن يحرض، ويدعو، ويشجع، هذا شيء مطلوب، أما من حيث المسؤولية لو أن واحداً دعوه أتحاسب عنه؟ لا.

(فَقَاتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تَكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرَضَ الْمُؤْمِنِينَ)

إن قاتلت في سبيل الله، وإن قاتل معك المؤمنين بعد أن حرضتهم ما الذي يكون؟ قال تعالى:

(عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بِأَسَدَ الْذِينَ كَفَرُوا)

المؤمن واثق من الله عز وجل ومن تأييد الله له لأنه مع القوي :

الكافر لا تردعه القيم، ولا الأخلاق، ولا المنطق، ولا الذوق، بل هو وحش، يريد أن يأخذ ثروتك، وببلادك، وإمكاناتك، يجعلك عبداً له.

(عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بِأَسَدَ الْذِينَ كَفَرُوا)

فباس الذين كفروا، وبطشهم، وجبروتهم، وطغيانهم، وعدوانهم كيف يكون؟ بأن تحاربهم، وتقاتلهم، وتحرض المؤمنين على قتالهم، لكن المؤمن واثق من الله عز وجل، ومن تأييد الله له، لأنه مع القوي قال:

(وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا)

تسمعون في الأخبار أحياناً زلزال سبع درجات لا ييفي شيئاً، إعصار خسائره ثلاثة مليارات دولار.

(وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا)

أنت مع القوي، والقوى قوته ظاهرة، قبل أيام اجتاح إعصار الأخضر واليابس، زلزال واحد يهدم ما عمره الإنسان في مئة عام، لثوان معدودة.

(وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا)

أمرنا الله سبحانه بإعداد القوة المتاحة للعدو لا القوة المكافحة :

الله بيده أمراض، كيف هزم نابليون؟ بالطاعون! مرض! الطاعون من جنود الله، كل المصائب من جنود الله، الله عز وجل يطمئنك أنت مع القوى لا تضعف، ولا تيأس، ولا تحزن.

(وَلَا تَهُنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَئُمُّ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)

[سورة آل عمران: 139]

عسى من ألفاظ الرجاء:

(فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَافِئُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرَضَ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُ بَأْسًا وَأَشَدُ تَنْكِيًلاً)

عسى الله أن يهديك، إذا قلتها أنت فعله يهدي، أما إذا قالها الله فعلى سبيل الواقع، إذا نسبت عسى ولعل إلى الله عز وجل فعلى سبيل الحصول.

(عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُ بَأْسًا وَأَشَدُ تَنْكِيًلاً)

بالمناسبة أيها الأخوة، الله عز وجل إن كنت ضعيفاً لا يطابلك بأن تعد لعدوك القوة المكافئة، هذا فوق طاقتكم، إن كنت ضعيفاً ربما كلفت أن تعد للعدو القوة المتاحة، والله جل جلاله بحكمته يرمم ما نقصك من قوة، فقد تنصر بالرعب، وقد تنصر بتفتت قوة العدو، وقد تنصر بفتنة تقع بصفوف العدو، أنت عليك أن تعد للعود عدة بقدر ما تستطيع، وعلى الله الباقي، ويجب أن تعلم أنك المنتصر.

في الإسلام قصص لأنها وقعت فعلاً نصدقها أما هي فلا تصدق :

قال تعالى:

(وَاللَّهُ أَشَدُ بَأْسًا وَأَشَدُ تَنْكِيًلاً)

في الإسلام قصص لأنها وقعت فعلاً نصدقها، أما هي فلا تصدق، سيدنا الصديق رضي الله عنه جاءه كتاب من سيدنا خالد بن الوليد، وكان في معركة طاحنة، الروم ثلاثة ألف، وهم خمسون ألفاً طلب منه المدد! بعد حين جاءه صاحبى جليل اسمه القعاع معه كتاب، أعطاه الكتاب، وقال له: أين المدد؟ قال: أنا المدد! واحد! فتح الكتاب، قرأه، فإذا فيه قول سيدنا الصديق: يا خالد لا تعجب أني بعثت لك بالقوعاع، فو الذي بعث محمداً بالحق إن جيشاً فيه القوعاع لا يهزم، وانتصروا. أين اليوم مليار ومئتا مليون؟ أمرهم ليس بيدهم، ولا يقدمون ولا يؤخرون، ولا أحد يستمع إليهم. واحد! هذه الآية:

(فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَافِئُ إِلَّا نَفْسَكَ)

لكن لك أن:

(وَحَرَضَ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا)

شيء مما نقرأ في القرآن نراه أحياناً في الواقع، أناس ضعاف، شاب ضعيف يزلزل كيان أمة قوية مستكبرة جباره طاغية، شاب ضحى بحياته، فزلزل كيان الغرب كلها. استمعت لتحريض ضابط كبير في البنتاجون يقول: ماذا نفعل بهذه الطائرات العملاقة، وهذه الصواريخ والأسلحة، لم يعد هناك عدو

على مستوى دولة؟ العدو موطن، إنسان واحد يقظهم، اختلف الوضع، حرب بين دول تكاد تنتهي، بقيت بين إنسان مظلوم مهور يضحي بحياته، وبين قرة جبارة عاتية.

حقيقة الشفاعة :

أيها الأخوة، آية ثانية يقول الله عز وجل:

(مَنْ يَشْفُعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نِصْبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفُعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِراً)

أي مقتداً، أحياناً إنسان يتوسط في أمر ما، يترتب على هذه الوساطة دفع ضر أو جلب نفع، هذه حقيقة الشفاعة ابتغاء لوجه الله تعالى، وحمل المؤمنين على القتال نوع من الشفاعة، أنت تتوسط بين جهتين تقنع الأولى بالثانية، فإذا نجحت بهذه الشفاعة دفعت ضرراً، وجلبت خيراً، بدفع الضر وجلب الخير لك أجر كبير، قال تعالى في أمر مباح، أو مطلوب، أو في واجب ديني، أو فريضة دينية:

(مَنْ يَشْفُعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نِصْبٌ مِنْهَا)

أما الشفاعة السيئة فهي بخلاف المنهج.

(وَمَنْ يَشْفُعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا)

فإذا كنت وسيطاً بين أداء عمل مشروع، أو خدمة إنسانية، أو تأمين رزق لطالب علم، أو تأمين علم لشاب ناشئ في طاعة الله، أو لحل مشكلة، أو لقضاء دين، أبواب الشفاعات لا تعد ولا تحصى، فإذا كنت من يشفع شفاعة حسنة فلك من هذه الشفاعات حصة ونصيب كبير، لأنك كنت السبب، لو شفعت لترويج شاب بفتاة مؤمنة صالحة، وشاب مؤمن كذلك، قربت بينهما، أو دللت أحدهما على الآخر، وكانت وسيطاً بينهما إلى أن تم هذا الزواج، هذه شفاعة حسنة، ورد أن أفضل شفاعة أن تشفع بين الاثنين في نكاح.

الله عز وجل فتح لنا باب الشفاعة :

لكن سلوك الناس الآن سلوك سلبي، لا يحبون الخير، وليسوا مستعدين أن ينطقوها بكلمة في سبيل الله، ولا أن يذهبوا، ولا يمشوا بخطوة.

((من مشى بتزويج رجل بأمرأة كان له بكل كلمة قالها، وبكل خطوة خططاها عبادة سنة، قام ليتها وصام نهارها))

[ورد في الأثر]

الناس يزهدون في الشفاعات الآن، أنت ممك أن تكون شفيعاً بزواج، وشفيعاً بشراكة، شاب يترق على مبلغ من المال يعمل به، وإنسان آخر يترق على استثمار هذا المال، صاحب المال عاجز عن استثماره، وهذا الشاب عاجز عن العمل يحتاج إلى مال، فإذا أقنعت صاحب المال أن يعطي هذا المال للشاب المؤمن، الشاب حل مشكلته، وهذا الذي يملك المال حل مشكلته، وأنت لك أجر.

(وَمَنْ يَشْفُعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا)

من يشفع في شركة حل مشكلة صاحب المال ومشكلة الشاب العاطل عن العمل، لو شفعت في زواج وأسست أسرة حل مشكلة أسرة عندها بنت لم تخطب حتى الآن، وحلت مشكلة شاب يبحث عن فتاة مؤمنة، وأنجب من هذه الأسرة أولاد صالحين، كل الخير بصدقتك.

أحياناً إنسان مسجون بخطأ مدني، أقام في بلد زيادة عن الحد فأودع في السجن، مع أن المبلغ بسيط، أحياناً ألف ليرة لا أحد يبحث عنه، فأنت شفعت لدى من هو مسؤول عن هذا العمل، ودفعتك عنه المبلغ، وأطلقت سراحه، أبواب الخير ولا تحصى، كلها تحتاج إلى شفاعة، والإنسان الذي له مكانة في المجتمع، له جاه، واسم طيب، هذا قد تحل به العقد، وتحل به مشكلات كبيرة جداً، خصومات بالقضاء عمرها عشر سنوات تحل بجلستين، من إنسان له كلمة بالمجتمع، فكان الله فتح لنا باب الشفاعة.

(وَمَنْ يَشْفُعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا)

أبواب الشفاعة لا تعد ولا تحصى :

الزوجان متخاصمان، الزوج امتلاً كرهاً لزوجته لأنها عنيدة، والزوجة امتلاًت كرهاً لزوجها لأنه لم يسأل عنها، والأهل يغذون ابنتهما ضد زوجها، وأهل الزوج يغذون ابنهم ضد زوجته، الأولاد هم الضحية، فجئت أنت وزرت أحد البيتين، وأقنعت الطرف الأول بالطرف الآخر، وحسنت صورة الطرف الآخر، ولينت قلب الطرف لأول، وعقدت لقاء بينهما، ثم حلت المشكلة، فنعم الزوج بزوجته، والزوجة بزوجها، وفرح الأولاد، أنت ماذا فعلت؟ فعلت أعظم عمل! الآن كم خصومة زوجية يوجد في البلد؟ بالألاف، وأسمع نصف المتزوجين متحاربين، فإذا دخلت أنت شفيعاً بين خصومة زوجية، أو بين خلاف بين شريكين، أو بين خلاف بين أبوين، بين خلاف بين أب وابنه، بين خلاف بين زوجة وزوجها، أبواب الشفاعة لا تعد ولا تحصى.

حدث عدوان على سطح إحدى البيوت، دخل في القضاء عشر سنوات، المبالغ المدفوعة للمحامى لا تعد، جاء رجل صالح، وحل المشكلة بينهم، وأسقطت الدعاوى كلها، وانتهى الأمر، فهذا باب من أبواب الخير كبير جداً:

(وَمَنْ يَشْفُعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يُكَلَّ مِنْهَا)

يقرب زوجين، أو شريكين، أو جارين، أو أخوين، أو شقيقين، الخير الذي حصل من هذه الشفاعة لك مثله إلى يوم القيمة.

شجعنا النبي الكريم بالشفاعة الحسنة في سنته الشريفة وحذرنا من الشفاعة السيئة :

عن أبي موسى رضي الله عنه قال:
((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا جَاءَهُ السَّائِلُ أَوْ طَبَّتْ إِلَيْهِ حَاجَةً قَالَ: اشْفُعُوكُمْ تُؤْجِرُوا،
وَيَقْضِي اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا شَاءَ))

[صحيف البخاري عن أبي موسى رضي الله عنه]

وعن ابن عباس أن زوج بريدة كان عبدا يقال له مغirth كأبي أظر إليه يطوف خلفها يبكي ودموعه تسيل على لحيته فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعباس: ((يا عباس ألا تعجب من حب مغirth بريدة ومن بعض بريدة مغirthا فقال النبي صلى الله عليه وسلم:
لو راجعته، قالت: يا رسول الله ثأرمني؟ قال: إنما أنا أشفع، قالت: لا حاجة لي فيه))

[صحيف البخاري عن ابن عباس]

النبي تدخل شخصياً في مشكلة زوجية، الحقيقة الحكم الشرعي أنه ما يجوز في الدين أن يشفع فيه فهو شفاعة حسنة، وما لا يجوز أن يشفع فيه فهو شفاعة سيئة. حدث عدون جنسي، وأودع المعتمدي في السجن، هذا له في الإسلام عقاب كبير جداً، قد يصل إلى القتل، فأنت بكل طاقتكم عند قاضي التحقيق، وعند القاضي، تريد أن تخرجه من السجن، فهذه شفاعة سيئة، لأنك تشفع في حد، وفي معصية، كما أنتي أحبابكم بالشفاعة يجب أن أخوكم أشد التخويف من أن تشفع في أمر باطل، في تعطيل حد من حدود الله، أي في حب رسول الله.

عن عائشة رضي الله عنها أن قريشاً أهمل شأن المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا: ومن يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: ومن يجرئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه أسامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((اتشفع في حد من حدود الله، ثم قام فاختطب، ثم قال: إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرقت

فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها))

[صحيف البخاري عن عائشة]

فَكَمَا أَنَّ اللَّهَ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى حَبِّنَا وَشَجَعْنَا بِالشَّفَاعَةِ الْحَسَنَةِ حَذَرْنَا مِنَ الشَّفَاعَةِ السَّيِّئَةِ، لَا تَشْفَعُ فِي مَعْصِيَةٍ وَلَا فِي حَدٍ.

على الإنسان أن يشفع لوجه الله ولرد حق المسلم :

من يشفع شفاعة حسنة كان له فيها أجر، وإن لم يشفع دقووا: ما قال: لم يشفع شفاعة حسنة، الفرق بين شفيع وبين شفيع، شفيع طلب أما شفيع قبض طلبه، الحديث أو الآية لم تكن تزيد من يشفع شفاعة حسنة، لا من يشفع، شفيع يشفع فعل ثلثي، أنت لمجرد أن تذهب إلى زيد تقول له: هذا الإنسان عندك مظلوم، وأنا أقترح عليك أن ترفع عنه الظلم، ولك عند الله أجر كبير، وأطلب منك ذلك، رفض! أجرك ثابت ولو رفض! من يشفع لم يقل من يشفع شفاعة حسنة، هذه دقة اللغة، لمجرد أن تتحرك، وأن تطالب ثبت الجرم حق الطلب أو لا، استجيب لك أو لم يستجب، من يشفع شفاعة حسنة يكن له كفل منها.

بعض العلماء يقول: من يشفع شفاعة حسنة هي التي رعى فيها حق مسلم، ودفع عنه بها شر، أو جلب إليه خير، وابتغى به وجه الله، ولم تؤخذ عليها رشوة، وكانت في أمر جائز، لا في حد من حدود الله، ولا في حق من حقوق البشر، هذه الشفاعة واجبة على كل مسلم كي تراعي بها حق امرأ+ مسلم، تدفع بها عنه شرآ، أو تجلب له بها نفعاً، تبتغى بها وجه الله، لا تأخذ عليها رشوة، وفي أمر جائز، لا في حد من حدود الله، ولا في حق من حقوق البشر هذه الشفاعة واجبة عليك، والشفاعة السيئة بخلاف ذلك. أهدي أحد العلماء هدية فغضب وردها، وقال: لو علمت ما في قلبك لما تكلمت في حاجتك، تشفع شفاعة من أجل مبلغ، هذا رشوة! ينبغي أن تشفع لوجه الله ولرد حق المسلم، وقد قال عليه الصلاة والسلام:

((مَنْ شَفَعَ لِأَخِيهِ بِشَفَاعَةٍ فَأَهْدَى لَهُ هَدِيَّةً عَلَيْهَا فَقِبَلَهَا فَقَدْ أَتَى بَابًا عَظِيمًا مِنْ أَبْوَابِ الرَّبِّ))

[سنن أبي داود عن أبي أمامة]

عَنْ ابْنِ شَهَابٍ أَنَّ سَالِمًا أَخْبَرَهُ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةٍ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَّرَ مُسْلِمًا سَتَّرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ۔))

[صحيف البخاري عن ابن شهاب]

الله عز وجل أنعم عليك بنعمة فوظفتها في الخير أدامها الله عليه، إن لم توظفها بالخير أخذت منها.

قضاء حوائج الناس في الدنيا لها عند الله أجر عظيم في الآخرة :

ما من عبد أنعم الله عليه نعمة فأسبغها عليه، ثم جعل من حوائج الناس إليه فتبرم، أعطاك مالاً غزيراً، وجاء الناس يطرقون ببابك، فتبرمت، أعطاك جاهًا عريضاً، وساق إليك الناس فتبرمت:
((ما أنعم الله على عبد من نعمة وأسبغها عليه ثم جعل إليه شيئاً من حوائج الناس فتبرم بها إلا وقد عرض تلك النعمة للزوال))

[ابن النجار عن ابن عباس]

قصة من التراث: بيت من بيوت دمشق القديمة الكبيرة فيها شجرة ليمون تحمل كميات مخيفة، عجيب أمر هذه الشجرة، ما من إنسان في هذا الحي يطرق هذا البيت لأخذ حبة ليمون إلا ويلبى طلبه، تحمل أربعين نسخة إلى خمسين نسخة! وأي إنسان طرق البيت في وقت عصيب، في ليل، في مرض يعطى، هذه الجدة صاحبة البيت توفيت، وبقي في البيت كتتها، طرق الباب مرة فرفضت، طرق الباب فرفضت حتى بيسط الشجرة وماتت، قصة واقعية، لكنها معبرة.

أعطاك الله جاهًا، ووضعك بمنصب رفيع، وبيدك حل مشاكل المسلمين، وجاءك الناس إلى البيت، وإلى المكتب زرافات ووحدانا، تبرمت بهم، وأغلقت بباب دونهم، بالوزارة الثانية لا يظهر اسمك، تراحت عن هذا المنصب! أما إذا كنت في خدمة الخلق يزداد مكانك قوة:
((ما أنعم الله على عبد من نعمة وأسبغها عليه ثم جعل إليه شيئاً من حوائج الناس فتبرم بها إلا وقد عرض تلك النعمة للزوال))

[ابن النجار عن ابن عباس]

((من كان وصلة لأخيه المسلم إلى ذي سلطان في مبلغ بر أو تيسير عسير أعاذه الله على إجازة الصراط يوم القيمة عند دحض الأقدام))

[الحسن بن سفيان وابن حبان وابن عساكر عن عائشة]

لأك صاحب بمركز حساس، وثمة مسلم له عند صاحب هذا المركز مشكلة، وهو مظلوم، لكن هذا المسلم ضعيف، فذهبت أنت إليه فرحب بك، وأكرمك، وقلت له: هذه قصة فلان قال: على العين والرأس، حلت، خرجت أنت.

((من كان وصلة لأخيه المسلم إلى ذي سلطان في مبلغ بر...))

[الحسن بن سفيان وابن حبان وابن عساكر عن عائشة]

أحاديث من السنة الشريفة تؤكد أهمية قضاء الحاجات :

السلوك المعاصر يقول: والله هو صاحبي، لكن لم أعود نفسي أن أبذل له ماء وجهي أبداً، فاعذرني، يكون في القضية إحقاق حق، حل مشكلة، إنقاذ أسرة، يقول: لا يمكن أن أطلب منه شيئاً شخصياً، هذه ليست لك، لمسلم لا يستطيع قال:

((من كان وصلة لأخيه المسلم إلى ذي سلطان في مبلغ بر أو تيسير عسير أعاذه الله على إجازة الصراط يوم القيمة عند دحض الأقدام))

[الحسن بن سفيان وابن حبان وابن عساكر عن عائشة]

وفي رواية:

((من كان وصلة لأخيه إلى ذي سلطان في مبلغ بر أو إدخال السرور رفعه الله في الدرجات العلي من الجنة))

[الطبراني وابن عساكر عن أبي الدرداء]

الآن:

((من موجبات المغفرة إدخال السرور على أخيك المسلم))

[روايه الطبراني عن جابر بن عبد الله]

أحياناً يكون إنسان معين بمكان بعيد، وله أهل وأولاد، والذي بأمره النقل صديقك، فذهبت إليه، وكلمته في شأن نقله إلى بلده فنقل، صار الأب بين أولاده، أدخلت على هذه الأسرة كل السرور، فلك أجر كبير.

((من موجبات المغفرة إدخال السرور على أخيك المسلم))

[روايه الطبراني عن جابر بن عبد الله]

وفي رواية أخرى:

((أفضل الأعمال إدخال السرور على المؤمن))

[روايه الطبراني عن عمر رضي الله عنه]

أفضل عمل.

الكافلة فيها دفع أما النصيب فيه قبض :

أيها الأخوة، بقي شيء في هذا الدرس:

(مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا)

النصيب سهم حصة:

(وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يُكَلِّمُ مِنْهَا)

فالكافلة فيها دفع، أما النصيب فيه قبض، لك نصيب معنا ثلاثة بالمئة، أعطني إياهم، أعطوني المبلغ، أنت كفلت فلاناً ففضل، فالله عز وجل ذكر الكفالة مع الشفاعة السيئة، عد للمليون قبل أن تكون وسيطاً في منكر، وفي معصية، وفي خلوة، شخص يريد أن يخص محل تزيين النساء، رجل فاسق، فاجر يريد رخصة، والذي يعمل في الرخص منعه، فتوسطت له فحصل عليها، جرى في هذا البيت من المنكرات ما لا يعد ولا يحصى، كلها في صحيفتك، لو توسعنا أكثر: واحد عنده بيت مغلق لا يؤجره، وشخص فاسق فاجر يريد أن يستأجره لشيء لا يرضي الله، وأنت توسطت بأن يؤجره هذا البيت، أجر البيت، وجرت فيه المنكرات، كلها في صحيفتك، قبل أن تتوسط عد المليار، ينبغي أن تتوسط لمؤمن ملتزم، ولمؤمن لا يعصي الله عز وجل، والذي شاع الآن البيت يؤجر مفروش الليلة الواحدة بعشرة آلاف! في الشيراتون بخمسة آلاف! يوجد مشكلة هنا، ليست قضية بيت للنوم، ولا لغير النوم، أنا لا علاقة لي، لا، أنت مسؤول، ما يجري في هذا البيت تحاسب عنه، هذا المبلغ ليس نظير نوم، بل نظير فاحشة، فأنت مسؤول.

والله أيها الأخوة، أنا أقول لكم إلى درجة أن صاحب مكتبة في بعض الكتب فيها ضلالات إذا باعها فله وزر كبير، شيء خطير، مكتبة فيها مجلات فاضحة، وقصص جنسية، وأدب إباحي، وكتب فيها ضلالات، وفساد عقيدة، وكتب فيها إنكار السنة هذه كتب، ما هو ذنبي أنا؟ لا، كل كتاب تشتريه وتبيعه أنت بهذا وسيط، فيه ضلالات أو إباحية فأنت محاسب عنه، أبلغ من ذلك الآن شاعت أماكن ومحلات الأفراص الدمجة، تجد إنساناً يصل إلى الجامع ببيع الأفلام الإباحية، يقول: هذا عملي، وبيعها! هذا تحاسب عنه، أي شاب فسد بهذا القرص، وأي بيت تتصدع بهذا القرص فأنت مسؤول.

قبل أن تشرع وتسعى لأي شخص أحذر لأن ما يفعله في صحيفتك :

عَنْ أَبْنَى عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:
((يَا رَسُولَ اللَّهِ قُدْ شِبْتَ قَالَ: شَيَّبَتِي هُودٌ...))

[سنن الترمذى عن ابن عباس]

ما الذي شبيه في هود؟ آية واحدة:

(فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ)

[سورة هود: 112]

قبل أن تشرع، وتتبع طولات نرد، وتتصبب خيمة رمضانية، وتفتح مقصف نساء كاسيات عاريات، قبل أن تفتح مطعم حديثاً، الإضاءة خافتة، من يأتي لهذا المطعم؟ من معه صاحبة يأتي بها، وأنت

بالنسبة لك مطعم، لا، ليس مطعماً، فيوجد أشياء لا تعد ولا تحصى، من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيباً منها، ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها، والله كل الأثام التي ترتكب في الأماكن الموبوءة بصحيفة مالك البناء، وفي صحيفة من استأجره، ومن يعمل فيه! لأن الله لعن الخمر، وشاربها، وبائعها، وعاصرها، ومعتصرها، وحاملها، والمحمولة إليه، ويضاف الآن، والمعلن عنها، قال لي أحدهم: عملي بالإعلان، سأله هل تستطيع أن ترد عملاً فيه فسق؟ قال: لا، هل يمكن أن ترفض إعلان خمر فيه عرض مغر؟!

هذه الآية دقيقة جداً:

(من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها)

أحياناً يقول: ابنتي ضعيفة جداً بالرياضيات، والله يوجد أستاذ جيد ما شاء الله، أنت ماذا فعلت؟ أقمت خلوة بين فتاة وشاب، ما الذي يجري في هذه الخلوة في صحيفتك؟ فأي شفاعة من إيغار بيوت، وإيغار مطاعم، وإيغار بنوك، من وساطة لوظيفة، أحياناً وساطة لتعيين فتاة في عمل العمل كله رجال، وهذه فتاة جميلة، وساخرة، ومتبللة، أنت توسيطت وعينتها بهذه الوظيفة، كل يوم ترتدي لوناً، أصبحت فتنة لكل من في هذه الدائرة، أنت السبب! أحضر أمثلة من واقعنا لأن الآية خطيرة جداً، فياياك، ثم إيايك، ثم إياك أن تكون وسيطاً في شر، أحياناً تسعى لإنسان بالسفر إلى أماكن بعيدة وكافرة، وهذا الشاب لا يقاوم نزعته من بين أهله، وأرسلته، فإذا به زنى هناك، ففي صحيفتك، وإذا ارتكب الفواحش، وأكل المال الحرام، وشرب الخمر هذا كله في صحيفتك، لأنك أنت سعيت له بهذا السفر بجهدك، أمنت له إشارة دخول، فقبل أن تسعى بين شيئاً عد للمليار، هل في هذا السعي معصية أو بعد عن الله عز وجل؟!

والحمد لله رب العالمين